مع غزّة

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية. «إذا نصرنا غزّة وانتصرنا بها، حقّقنا وجودنا الحضاري ودخلنا قلب التاريخ من جديد»، يقول الكاتب الجزائري

إبراهيم مشارة

تفتحون الطريق إلى عالم أكثر عدالة

إبراهيم مشارة

برج بوعريريج (الجزائر) ـ **القسم الثقافي**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوانِ إبادةٍ على غزّة؟

ما يشغلني، بصفتي مثقّفاً عربياً، هو الصمت والخذلان العربيّان إلى درجة التواطؤ، خصوصاً ونحن نشهد أكبر مجزرة وإبادة عبر التاريخ. لا يقع اللوم على الجماهير العربية التي عبّرت عن مساندتها لأهلنا في غزّة، وهي عزلاء تعيش في دوّامة من الانفعالات والتذمّر من الصمت السياسي، إذا وضعنا في الحسبان أنّ قمّة «منظّمة المؤتمر الإسلامي» في جدّة لم تستطع تفعيل المقاطعة ودفع الدول المطبّعة إلى قطع العلاقات مع الكيان الغاصب، وأنّ هذه البلدان لم تستطع إدخال حتى قارورة ماء أو لقمة طعام للجائعين، ثمّ نفاق السياسة الدولية خصوصاً الغربية، فكُن أيّ إنسان، فلك حقوق، إلّا أن تكون عربياً.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

منذ اندلاع «طوفان الأقصى» تغيّرت طبيعة حياتي؛ فصار اليوم مواكبة للأحداث عبر متابعة الأخبار، أعني أخبار المجازر الصهيونية، والتي فاقت في بربريتها كلّ المجازر التي حدّثنا عنها التاريخ، كما أُتابع بإعجاب شديد شجاعة المقاتلين البواسل وصمودهم ومهارتهم من مختلف الفصائل الفلسطينية، وإنّها لفضيحة لـ«إسرائيل» التي ادّعت لعقود أنها تملك جيشاً لا يُقهر، فإذا به يغرق في رمال غزّة وتطمره شجاعة المقاتلين. ينفطر القلب من هول المذابح التي راح ضحيّتها الأطفال والنساء والشيوخ والعُزّل، وكلّ ذلك موثّق وسيتحوّل إلى ملفّ كامل يُدين «إسرائيل» إلى الأبد.

■ إلى أي درجة تشعر أن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

المقاومة كما تكون بالسلاح تكون بالفكر، ومعركتنا مع «إسرائيل» فكرية وحضارية في الأساس، ولا ننسى أنّ الثورة الجزائرية كان فيها شاعرٌ مُبدع مثل مفدي زكريا، وهكذا فدعمُ القضية الفلسطينية، كما دعمَها أبناؤها غسّان كنفاني ومحمود درويش وعبد الرحيم محمود وفدوى طوقان، حملَها إلى العالَم، واليوم الكتابة والشعر والسينما وحتى الرياضة تُعرّف بالقضية، خصوصاً في ظلّ هيمنة إعلامية صهيونية تزيّف الحقائق وتنقل صوراً مشوّهة إلى العالَم. شخصياً، شاركتُ مع مجموعة من الكتّاب العرب في كتاب بعنوان «الملحمة الفلسطينية: مقالات للفيف من الكتّاب والمفكّرين العرب»، طُبع في مصر وشارك في «معرض القاهرة للكتاب»، وخُصّصت مبيعاته لأهلنا في غزّة. قدّم للكتاب فهمي هويدي وعماد الدين خليل.

■ لو قُيّض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

لا أحبّ السياسة مُمارسةً مباشرةً، ويعجبني قول الباحث حسين فوزي، حجّة الدراسات الأندلسية، حين سُئل لمَ لا يمارس السياسة، إنّه حين يكتب عن تاريخ الأندلس يُمارس السياسة من موقعه، وهكذا فالكتابة النزيهة والمعبّرة عن الشرط الإنساني هي مُمارَسة سياسية غير مباشرة، أمّا المُمارسة السياسية بقصد المغانم والتموقع فهذه أمقتها. أنا راضٍ بقَدَر الكتابة، ولو قُيّض لي اختيار الطريق من جديد سأختار الكتابة.

هل هذا قدر أطفال غزّة من حضارة القرن الحادي والعشرين؟

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

إذا كان العِلم قد قطع بنا أشواطاً بعيدة في مضمار الاكتشاف، وتحويل تلك المُكتشفات إلى مخترعات، فإنّنا نشهد تراجعاً في مجال الحقوق الإنسانية. أُشير، هنا، إلى التفاوت بين الشمال والجنوب والعنصرية والأفكار المتطرّفة وانتشار الفقر والأمراض والجوع، من دون أن ننسى أنّ ثروة العالَم بيد أشخاص معدودين، فنشرُ العدالة - ولو نسبياً - والقضاء على الفقر والأمراض وتخفيف حدّة صراع الطبقات لصالح التجانس النسبي يجعل سكّان الكوكب في حالة أقرب إلى شرط إنساني مقبول يقوم على الاحترام والمثاقفة وتبادل المصالح، أمّا بهذا الشكل فنحن سائرون إلى مجاهيل الله أعلم بنهاياتها.

■ شخصية إبداعية مقاوِمة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟

غيلان الدمشقي الذي جمَع بين العِلم والصلاح والجُرأة. لقد قاوم بني أميّة واعتبر أملاكهم غير مشروعة، وطالب برَدّها إلى بيت المال، واقترب من الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، بغرض خدمة الصالح العام، لكن الأوليغارشية الأموية تخلّصت منه بتدبير تهمة الزندقة واغتالته في محاكمة ظالمة. فلو لقيتُه اليوم لقلتُ له إنّ الذي ناضلتَ واستشهدتَ من أجله لا نزال نُعاني ويلاته إلى اليوم، أقصد الظلم السياسي وتحالف وعّاظ السلاطين والمثقّفين المُزيّفين مع الطغيان السياسي.

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

أبهرتمونا، علّمتمونا معنى الكرامة والرِّفعة وأعطيتم لنا درساً في معنى الحياة الكريمة، ومعنى الاستبسال ومعنى الثقة في الله وفي النفس والشجاعة، ما من بيت إلّا وفيه شهداء ومع ذلك تُواصلون الصمود والشدّ على يد المقاومة ودعمها والإشادة بها، بالرغم من محاولات إحداث الشرخ بين شعب غزّة والمقاومة، ولكن كلّ ذلك باء بالفشل الذريع.

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

غزّة هي قلب الحدث اليوم، وأنتَ أيها العربي على موعد مع التاريخ لتدخُل مَتنه بعد أن عشتَ أحقاباً على هامشه، قضيّة غزّة هي قضيّتك فادعمها بكُلّ السبل المتاحة واعتبِرها جواز سفر إلى القرن الحادي والعشرين ليأخذ فيه العالَمُ العربي موقعاً كريماً بين الدول ويكون له كيان مُحترم، فالنظرة الغربية استعلائية لا ترى فينا إلّا حقول نفط وآبار غاز وأسواقاً لتفريغ البضائع. إذا نصرنا غزّة وانتصرنا بها حقّقنا وجودنا الحضاري ودخلنا قلب التاريخ من جديد.

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان، ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

دارين... قمر بسّام، جرحٌ يقطر ضوءاً، إنّها شاهد على همجية «إسرائيل» وعلى ما يُرتكب في حقّ الطفولة. وإذا كان أطفال العالَم ينعمون، مع والديهم، بالتعليم والسكن والمعاش الطيّب والترفيه، فإنّ أطفال غزّة عاشوا الويلات وشاهدوا ما لم تشاهده عيون البشر؛ أفتك الأسلحة وهي تقتل ببرودة أعصاب وأبشع أنواع الدمار، فهل هذا قدر أطفال غزّة وقدر دارين من حضارة الإنسان في القرن الحادي والعشرين؟ دارين تفتح الطريق نحو العدالة والحقّ والنصر للقضية.

بطاقة

ناقد وقاصّ جزائري من مواليد زمّورة في برج بوعريريج عام 1967. من مؤلّفاته في النقد: «وهج الأربعين» (2007)، و«أوراق أدبية» (2016)، و«ما تبقّى لي» (2023)، و«مرايا ذاكرة نقدية للنص» (2024)، وفي القصّة القصيرة: «ديوان الحكايا» (2010). شارك في كتاب جماعي صدر مطلع العام الجاري بعنوان «الملحمة الفلسطينية: مقالات للفيف من الكتّاب والمفكّرين العرب».

كتاب

حيث تعيد الشخصية الإنسانية تصوُّر ذاتها

هارولد بلوم قارئاً شكسبير

هارولد بلوم في مكتبه، 2003

يتضمّن كتاب الناقد الأميركي، الذي أصدرت «مؤسّسة هنداوي» نسخة إلكترونية من ترجمته العربية، قراءة نقدية في خمس وثلاثين عملاً لصاحب «عُطيل»

القاهرة ـ **العربي الجديد**

رغم مرور أكثر من أربعة قرون على رحيل صاحبها، ما زالت أعمال المسرحي الإنكليزي وليم شكسبير (1582 - 1616) الشغل الشاغل للنقّاد، فمن أحداثها يجترحون المفاهيم والبنى، ووفقاً لشخصياتها يُحلّلون المجتمع والتاريخ. ومن بين أبرز العناوين النقدية التي شملت كلّ أعمال صاحب «هاملت»، يأتي كتاب الناقد الأميركي هارولد بلوم (1930 - 2019) «شكسبير: ابتكار الشخصية الإنسانية»، ليجمع بين علمَي المسرح الكلاسيكي والنقد المعاصر.

صدر الكتاب بالإنكليزية عام 1998، ثم رأت ترجمته العربية منه النورَ عام 2021 على يد المُترجم الراحل محمد العناني (صدرت عن «المركز القومي للترجمة»)، ومؤخّراً أصدرت «مؤسّسة هنداوي» نسخة إلكترونية من الكتاب، وأتاحتها مجّاناً عبر موقعها على الإنترنت. يتناول الكتاب الشخصيات الشكسبيرية بالتحليل، مركّزاً على السياقات الاجتماعية والنفسية التي نشأت فيها كلُّ شخصية، متتبّعاً مسارها، والتغييرات التي طرأت عليها، والمصائر التي آلت إليها، والحوارات الذاتية التي منحتها بعداً فلسفيّاً عميقاً وجليّاً. وينطلق المؤلّف في تحليله من أنّ الشخصية الأدبية قبل شكسبير ظلّت «ثابتة نسبيّاً، فالصور التي تُمثّل النساء والرجال كانت تصوّر أفراداً يتقدّمون في السنّ ويموتون من دون أن يتغيّروا، لأنّ علاقتهم بأنفسهم، لا بالأرباب ولا بالله، قد تغيّرت. أمّا في شكسبير فإنّ الشخصيات تتطوّر بدلاً من أن تتكشّف لنا فحسب، وهي تتطوّر لأنّها أعادت تصوُّر ذواتها». وينبّه بلوم، في تقديمه للكتاب، إلى أنّ أهمّية مسرحيات شكسبير تتمثّل في أنّها «تقرؤُنا القراءة المطلقة». يكتب: «إذا كان هاملت (أستاذ فرويد) يحرّض كلّ من يقابلهم على الكشف عن أنفسهم، فإنّ هذا الأمير (مثل فرويد) يروغ مِن كلّ مَن حاول أن يكتب سيرته». أمّا عناني فيشير، في تقديمه للترجمة، إلى أنّ «الكتاب يركّز على أساليب بناء الشخصية الإنسانية عند شكسبير، مركّزاً على ما يعنيه بالإنسان، وكيف نجح شكسبير في حين لم ينجح فيه معاصروه الذين تعرّضوا للظروف التاريخية نفسها، وللظواهر الاجتماعية والفكرية والدينية والسياسية ذاتها».

يركّز الكتاب على أساليب بناء الشخصية الإنسانية عند شكسبير

يتناول العمل خمساً وثلاثين مسرحيّة، وينقسم إلى تسعة أبواب: «الكوميديات المبكّرة»، و«المسرحيات التاريخية الأُولى»، و«تراجيديات اكتساب الصنعة»، و«الكوميديات الرفيعة»، و«المسرحيات التاريخية الكبرى»، و«المسرحيات المُشكِل»، و«التراجيديات العظمى»، و«خاتمة تراجيدية»، و«الرومانسيات المتأخّرة».

عمل هارولد بلوم أستاذاً في قسم اللغة الإنكليزية بـ«جامعة ييل» منذ عام 1955 حتى رحيله، كما درّس في «جامعة نيويورك»، وانتُخب عضواً في «الجمعية الفلسفية الأميركية» عام 1995. ألّف وحرّر أكثر من خمسين كتاباً؛ منها أربعون كتاباً في النقد الأدبي، وعدّة كتب في الدِّين، ورواية واحدة. ومن أبرز أعماله: «الرومانسية والوعي: مقالات في النقد»، و«دراسات في التقليد الرومانسي»، و«القلق من التأثير: نظرية الشعر»، و«الشعر والجمع: المراجعة من بليك إلى ستيفنز»، و«شخصيات قادرة على الخيال»، و«التفكيك والنقد»، و«نوح الألفية: غنوص الملائكة والأحلام والقيامة».

متابعة

لا وقت للتنديد بالإبادة ومقاطعة داعميها

تشكيليّون لبنانيون في السفارة الأميركية

ستّة عشر فنّاناً لبنانياً استضافتهم السفارة الأميركية مؤخّراً، لم يخطر ببال أحدهم أن يُقاطع الدعوة أو يحتجّ على الموقف الأميركي الداعم للإبادة

بيروت ـ **العربي الجديد**

في الشهر التاسع للعُدوان الإسرائيلي الإبادي على غزّة وجنوب لبنان، وقبل يوم واحد فقط من مجزرة المواصي في خانيونس، التي ارتكبها الاحتلال أوّل من أمس السبت واستشهد فيها أكثر من مئة فلسطيني، بحجّة استهداف القائد العام لـ«كتائب الشهيد عزّ الدين القسّام» محمّد الضيف، بثّت سفارة الولايات المتّحدة الأميركية في لبنان، الجمعة الماضي، عبر حساباتها على وسائل التواصل الاجتماعي، تسجيلاً تَظهَر فيه السفيرة الجديدة ليزا جونسون وهي تستقبل 16 فنّانة وفنّاناً تشكيلياً لبنانيّاً في مقرّ سفارة بلادها، حيث يعود تاريخ هذا المقطع المصوَّر إلى حفل أُقيم في العشرين من الشهر الماضي، ضمن معرض بعنوان «خيوط الأمل».

تتحدّث السفيرة في التسجيل إلى ضيوفها الحديثَ «الأبيض» المكرر، قائلةً: «هذا أكثر من مجرّد معرض»، وتُردِّد الألفاظ التي طالما سمعناها من المسؤولين الغربيّين في بلادنا، سواء قبل أو بعد الاحتلالات التي تُغطّي عليها إدارات بلادهم بأكثر من الكلمات والألفاظ التي ردّدتها جونسون على مسامع الحاضرين، مثل «جسور»، «توطيد العلاقات»، «التبادُل الثقافي»... لكن مَن يكترث حقّاً؟

في الإبادة تمرُّ الفنون، شأنُها شأن سائر الأنشطة الثقافية وعلى اختلاف حقولها، بامتحان وجوديّ يمسُّ جوهرها الإنساني وقيمتها الحقيقية، حول ما يُمكن للفنّان أن يقول ويصنع حقّاً كي يُوقف المجزرة أو يفضح مرتكبيها، بالعامّي الفصيح: «ما مدى أن يُقبَض الفنّان أصلاً هو وشغلُه، في مثل هذا الوقت العصيب؟». وفي الإبادة، يتساءل المشتغلون والمُتابعون لهذا الحقل، باليوم ألف مرّة: كيف لنا أن نُتابع حياتنا اليومية بشكل عاديّ، أن نرسم، وأن نعزف، وأن نكتب بأعين مُغمَضة، وكأنّ أحداً من حولنا لا يُقتَل، وبعد أن أقنعنا أنفسنا والعالَم من حولنا أنّ فنّنا وعملنا رسالة؟

وفي الإبادة، يشهد العالَم اليوم أكبر ذُعر مكارثي من أكبر موجة مُقاطعة للاحتلال وداعميه وتضامن عالمي مع فلسطين، قوامُها عمّال ونساء وطلّاب، وعلى رأسها فنّانون وفنّانات وكاتبات وكُتّاب مُنعت وصُودرت أعمالهم. ومع ذلك، هناك مَن يتجاهل كلّ هذا، مُؤثراً الاستماع إلى عِظة «بيضاء» عن «الانسجام الحضاري».

الضيوف بدورهم لم يُقصّروا، وتفاعلوا بلكنة أميركية مُمتازة مع مُضيفتهم، فالسفيرة لا تُتقِن العربية، حيث يبدو أنّ «مدّ الجسور» لا يتطلّب منها ذلك! يُحدّثُها أوّل عن «الأمل بغدٍ أفضل»، وأُخرى عن وجوب «الحفاظ على الروابط التي بيننا»، وثالث عن عمل له استوحاه من قصائد الحلّاج ومفاهيمَ المتصوّفة، وما أسهل الحديث عن المتصوّفة الشهداء في الحَضْرة الرأسمالية!

والمشاركون في الحفل، هُم: عفاف زريق، وعايدة حلوم، وأناشار بصبوص، وبيتي باغي، وكريست إسكندريان، وفادي بلهوان، وغازي باكير، وهادي سي، وجوزيف الحوراني، ولينا لطفي، وماهر عطّار، ومجالي قطرا، ومانويلا غوراغوسيان، ونبيل بصبوص، وسمير تماري، وياسمينة هلال، وعازف الساكسفون سام أرنيليان.

أمّا المؤسّسات الفنّية التي شاركت، فهي: «غاليري صالح بركات»، و«غاليري مارك هاشم»، و«مايا آرت سبيس»، و«آرت سين غاليري»، و«زلفا حلبي غاليري»، و«آرت ديستريكت غاليري»، و«متحف أناشار بصبوص»، و«استديو نبيل بصبوص»، و«استديو مانويلا غوراغوسيان».

«رعاية للفنون» أم محاولة لغسل التواطؤ الأميركي مع الإبادة؟

وقال صالح بركات، في حديث إلى «العربي الجديد»، إنّ مشاركة الغاليري الذي يملكُه ويديره تأتي «من باب الإيمان بالحوار عبر الفنّ والانفتاح على أيّ مبادرة، كما أنّ المشروع (Art In The Embassy) قد حُضّر له قبل عام، أي قبل الحرب في غزّة، وهو موجود حول العالَم لتتعرّف طواقم السفارات الأميركية على الفنّانين المحلّيّين ليس أكثر، من غير أيّ بُعد أو تأويل سياسي»، مضيفاً أنّ «السفيرة هي التي أبدت رغبتها في ذلك، ولسنا نحن من دعاها، ولو أُتيح لي لقُمتُ بالشيء نفسه مع السفارة الإيرانية، أو الروسية، ومع أيّ جهة تطلب منّا أن نُعرّفها على فنّانينا». الزيارة مرّت من دون أن تُثير أيّ جدل، ولا حتى تنديداً على وسائل التواصل الاجتماعي، سوى تغريدة أو اثنتين عبر منصّة «إكس».

طفلان لبنانيّان قرب سيّارة إسعاف دمّرها العُدوان الإسرائيلي، العديسة جنوب لبنان، 5 آذار/ مارس 2024 (Getty)

إطلالة

نصيبُنا من نابليون

نجم الدين خلف الله

لا تزال شخصية نابليون بونابرت (1769 - 1821) تشدّ الفرنسيّين؛ والعرب تُذكّرهم ببدايات الاستعمار ودسائسه في مصر، وقد يستذكرون علاقاته المبهمة مع الإسلام وحضارته. لذلك، مع كلّ كتاب أو شريط جديد يُنجز حوله، تهتزّ أوتار الذكرى وتطفو مفارقات هذا «القائد» لدى الفرنسيّين ولدى بعض العرب على حدّ سواء.

فقد اكتشف الجمهور الفرنسيّ، قبل أيام، فيلماً جديداً- قديماً عن بونابرت، من خلال ترميم شريط يحمل العنوان نفسه، أخرجه آبال غانس (1889 - 1981) سنة 1927، وسيُعرض قسمه الثاني بعد أيام، نظراً إلى امتداده على أكثر من سبع ساعات!

هذه الاستعادة هي نتاج مجهود استغرق خمسة عشر عاماً قامت به مؤسّسة «السينماتيك الفرنسية» التي كلّفت المُخرج والباحث جورج موريي بإعادة ترتيب مختلف مقاطع الشريط المنثورة على أزيد من ثلاثمئة بَكرَة أصلية، تنضاف إليها سبعمئة أُخرى محفوظة في أرشيف «المركز الوطني للسينما»، وبعضُها الآخر ظُفر به في بلدان أجنبية، من أجل «التوفيق» بين الاثنتين وعشرين صيغة المختلفة لهذا الشريط، وقد سبق لمُخرجه أن عدّل بعضها، فضلاً عن استعادات أُخرى أُجريت طيلة العقود السابقة؛ كاختصاره في صيغ أقصر، أو إضافة حوارات أو موسيقى له.

ومن المشروع أن نتساءل إن كان هذا الشريط، في صيغته الأصليّة كما في صيغته المرمّمة، قد راعى وجهات النظر الأجنبية، كالإيطالية والروسية والألمانية، التي كانت وثيقة الصلة بحياة الرجُل، إلى جانب العربية-الإسلامية طبعاً؛ لأنّ جزءاً من سيرته رُسمت ملامحها في مصر التي قضى فيها أكثر من سنة، وفيها دامت حملتُه ثلاثة أعوام (1799 -1801) بعد أن اصطحب مئات الضبّاط والجنود وعشرات العلماء بغاية استكشاف هذا البلد ثم تيسير نهب كنوزه؛ مما عُدّ أكبر تهيئة للحركة الاستشراقية والاستعمارية التي تجسّدت بعد ثلاثة عقود فقط في الجزائر.

وليس هذا مجرّد استنقاص سهل لهذه الشخصية، بل إشارة إلى إصرار الفرنسيّين على رفض استحضار رموز تاريخهم بعيون الدول المستعمَرة، التي عانت آثار توسّعهم، فكانت من مصادر ثراء فرنسا، ومن أسباب تمكّنها، مع أنه لا أحد ينكر أنّ حملة بونابرت شكّلت بداية «حركة النهضة» في العالم العربي. ولا يغيب هنا أنّ الانهمام بشخصية نابليون يتنزّل في إطار العودة إلى ذاكرة الماضي العسكرية، وحتى الإمبراطورية، للنفخ في صورة فرنسا، بعد أن اهتزّ نفوذها في أوروبا و«الشرق الأوسط»، فضلاً عن «القارّة السمراء»، وبعد أن تتالت عليها الأزمات الداخليّة، وآخرها صعود اليمين المتطرّف، وصدّه بتفاهمات سياسية رخيصة، تُذكّر بدسائس نابليون وتغيير ولاءاته، بحسب المصالح والغايات. وعليه، تأمل المؤسّسة العميقة للدولة أن تكون هذه الشخصية جامعة موحِّدة. لكنّنا لا نخالها ستنجح في ذلك، بالنظر إلى كثرة تناقضاتها وتفاوت آثارها، ثم بالنظر إلى عمق التصدّعات الداخلية التي تهزّ النسيج المجتمعي الفرنسي الراهن.

فكأنّ فرنسا المُمزّقة سياسياً واجتماعياً تبحث عن رمز يجمع شتاتها، فلا تكاد تجده إلّا في بقايا «قائد حربي»، اشتهر بدهائه ومعاركه وبسجلّ دموي، ولا تعثر في طيّاته عن لمعات من العقلانية والقيم الحضارية إلّا بين ركام الاقتتال الذي حصد آلاف الأرواح البريئة، مع أنّ سيرته مُرّرت على أنّها ذروة المجد الماضي، ويمكنها أن تُلهم حاضر البلد.

فما يُلاحَظ أيضاً هو حضور سمات من جنون العظمة التي ميّزت قديماً «الإمبراطور»، وتماهى معها المُخرج موريي، حين سعى أن يكون هذا «الترميم» نفسُه أسطورياً، وأن يُحطم أرقاماً قياسية. وهذا ما ستُبيّنه، في الأيام المقبلة، كيفية تلقّي الجمهور للشريط، ومدى استجابته لشكله وفحواه، وهل سيتفاعل إيجابياً مع آليات الترميم أم يجد فيها تشويهاً رقمياً اصطناعياً، لا أصالة فيه.

نشكّ في النتيجة، نظراً لثقل السينما التاريخية على نفوس الشباب المغرَقين حالياً في متابعة «طواف فرنسا»، وانتظار الألعاب الأولمبية، وهي على الأبواب. وستظلّ إشكالية تلقّي مثل هذه الأشرطة رهينة طُرُق إقناع المُشاهد العَجول المَلول بخوض هذه التجربة الفريدة: متابعة شريط صامت لسبع ساعات متتالية، تُلقي الوعي في خبايا تاريخ هذا الإمبراطور منذ طفولته، وما في حملاته من دهاء وصعود، من نجابة وهزائم، ضمن سلسلة من المفارقات التي لا يمكن للعقل أن يُذوّبها بسهولة.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

فعاليات

تعرض «مؤسّسة عبد الحميد شومان الثقافية» في عمّان، عند السادسة والنصف من مساء غدٍ الثلاثاء، فيلم **الريح التي تهزّ الشعير** (2006) للمُخرج البريطاني **كين لوتش**. يروي العمل قصّة انضمام الطبيب الأيرلندي داميان إلى الجيش الجمهوري الأيرلندي للقتال ضدّ الإنكليز، بعد أن كان يستعدّ للالتحاق بأحد المستشفيات.

تحتضن «المكتبة العامّة» التابعة لبلدية بيروت (فرع مونو)، عند السادسة من مساء الخامس والعشرين من تمّوز/ يوليو الجاري، جلسلة لمناقشة رواية **صورة دوريان غراي** للكاتب الأيرلندي **أوسكار وايلد** (الصورة)، وهي رواية فلسفية صدرت عام 1891، وتدور قصتها حول شابّ يعيش صراعاً داخلياً بين الخير والشرّ.

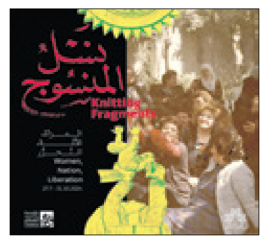

نسل المنسوج: المرأة، الأُمّة، التحرُّر عنوان معرض يُفتتح في السابع والعشرين من الشهر الجاري في «مؤسّسة عبد المحسن القطّان» برام الله. يُضيء المعرض مساهمات المرأة الفلسطينية في إعادة تشكيل نسيج الشعب الفلسطيني، مستلهماً تجربة «جمعيّة إنعاش الأسرة» ومؤسّستها **سميحة خليل** (1923 - 1999).

19
معرض مكتبة الإسكندرية الدولي للكتاب
Bibliotheca Alexandrina International Book Fair
عند العاشرة من صباح اليوم الاثنين، تنطلق فعاليات الدورة التاسعة عشرة من **معرض مكتبة الإسكندرية الدولي للكتاب** والتي تتواصل حتى الثامن والعشرين من الشهر الجاري. تشارك في الدورة قرابة **75 دار نشر مصرية وأجنبية**، ويتضمّن برنامجها الثقافي ندوات فكرية، وجلسات حوارية، وأنشطة مخصّصة للأطفال.

ثقافة

في «طقوس الربيع»، أثار الموسيقي إيغور سترافنسكي، الذي تمر 140 عاماً على ميلاده، مسرح الشانزليزيه استياءً عند عرض العمل في 1913. كما أشعل فتيل ثورةٍ في الذوق العام، و تنبأ بالتغييرات التي ستلمّ في المجتمع، وبالتالي

نصوص الحياة والحرب من غزّة

أميرة حمدان كاتبة

تأملات في الحب والنزوح

كنت أنظر للأشياء حولي ببلادةٍ تامة، أي شيء سأحمله معي الآن، وأية دقائق تكفي لأقرّر وأختار الأهم من بين كل ما اقتنيته من أجهزة أو لوحات، حتى جهاز اللابتوب الذي حمل ذاكرة زواجي وإنجابي، وأهم أعمالي الفنية ومشاريع الثقافة وغيره، تركته ومضيت. نظرتُ نظرة أخيرة في البيت الذي لا ينقصه شيء وتركته على حاله، حملت لزوجي وأطفالي أحذيتهم التي لم يستطيعوا من هول القصف وشدته أن يلبسوها، ونزلت إلى بيت الدرج الذي كان الجميع يحتمون به من أهل العمارة، وهناك رأيت أناساً غرباء، ربما كانوا من المارة بشارعنا لحظة وقوع القصف الذي لم يكن صاروخاً عادياً. كانت أحزمة نارية وانفجارات متتالية جعلتنا غير قادرين على التفكير، ولا أخذ القرار هل نبقى ببيت الدرج أم نترك المكان ونخرج، لكن إلى أين؟ نحن في منطقة مركز الاستهدافات بحي الرمال شارع الجامعة بالقرب من دوار الصناعة، كيف سنقطع الطريق إلى أي شارع، وهل ستقودنا هذه الطرق إلى النجاة في مدينة وقعت مرة واحدة في قبضة الموت والدمار! يعجبني لون السماء جداً لكنني غير قادرة على استشعار جمالها الآن، وقد عبرنا كل ما لم نتخيل أننا سنستطيع مواجهته، قهرنا الألم وعدنا أحياء بلا قلوب أو حتى أعصاب حسية، لا نعرف ما هي رسالتنا الآن سوى الصمود في وجه هذا الموت أكثر، وحده السأم ما سيكون سبباً في انسحابنا من هذه الحياة.

لا أعرف كم هو عمري الآن، أنا فعلاً نسيت وحدث ذلك بعد أن أردت أن أنسى، ألتقط من بين السنين بعض الذكريات، أكتفي بالقليل منها لأن كثيرها يذكرني بحجم ما خسرت، أمشي لا علاقة لي بالوقت، أمرره أقتله أعده أنساه أحمله على ظهري، أتعب منه وألقيه بعيداً كي أتنفس، أقف أمامه كزائر سينما سيرحل عما قليل، منذ ولدت لم أتعلق بالزمن، تركته يبكي ويضحك خلفي كيفما شاء وكلما لوح لي بيده منادياً، مررتُ كأنه لا يخصني البتة، أغاظته تلك اللامبالاة، همّ بالانتقام وركض أمامي مسرعاً تجاوزني حتى صرت أحمل خمسين مليون سنة معي، ابتسم ابتسامته الشامتة، لم يعطني فرصة لأفكر دون ثقله، تحديته وهزمته، صرخ واشتكى متظلماً، قلت لا لوم عليّ فقد ضيعني وضيعته!

في صباح الغد، سيذهب الجائعون للبحث عن قوت يومهم، وأنا مثل طفلة فقدت اليد التي تدلها أين الطريق سأبقى على مفترق الأبد هناك أنتظر يداً بغير قصد أفلتت يدي في الزحام، وأنتظر، أنتظرها بكل ما في الكون من عناد ولهفة!

في المقهى، كان صوت الموتور يعلو فوق صوت حوارنا، على تلك الطاولة التي جاءت بجوار النافذة الوحيدة التي تبعد عن الدخان والتلوث الصاعد من السوق باتجاه سمائنا وهوائنا وأفكارنا ومستقبلنا، لكنها تبقى النافذة الأكثر نقاء، صوت الموتور لا يتوقف ولا يدعنا نعرف كيف نتحدث، لكن تلك الكافتيريا كانت أفضل الخيارات في المدينة كلها، ننسى أمر الموتور ونفرح لأن هواء نقياً تسرب من النافذة أخيراً نحو صدورنا التي امتلأت عبر أكثر من مئتي يوم دخاناً، وغباراً، وموتاً، وبارود! فنجان قهوة وكأس أعشاب تلك فرصتنا للانتصار على الوقت، نترك كل شيء ولا نفكر سوى بالفراغ، بهذا الذي لا يسمى بيننا، وقت ومسافة لم نمشها وصوت يجيء من بعيد يقول للروح، مهلاً فالخطوة هنا تساوي عمراً، لحظة وسؤال، والروح كالنورس تهيم فوق سطح الأسئلة!

في كل مرة كان يمتلئ قلبي فيها بالحزن والخذلان، كنت أذهب للبحر كي أفرغ ما في قلبي وأعود للحياة بروح منطلقة وبهية، لكنهم أغلقوا باب البحر الآن، كيف سنتخفف من كل هذا الوجع الذي يزحف في دمنا، كيف سنغسل أرواحنا من كل ما شابها من ألم وحزن وعجز ووجع، يا رب المستضعفين يا الله.. متعبون جداً نحن، وما من باب سوى بابك الآن!

هذه المرة لم تكن كأي مرة شاهدت فيها البحر، كانت صورته مروعة، بحر بلا أسماك أو باعة وصيادين، شاطئ بلا أطفال، تماماً كهذا الربيع الذي فقد وروده، كيف عبرت بنا المأساة من شتاء إلى ربيع ونحن لم نع ما حل بنا بعد؟ كنا نمرر الوقت فقط كي نظل على قيد الحياة، وأي حياة.. يمر الناس قرب البحر يجرون همومهم، تشعر بثقل مشيتهم، تغوص أقدامهم في رماله تماماً مثلما غاصت أحلامهم في السراب، أي وقت نعيشه الآن تماماً كأننا عائدون من القيامة للقيامة مرة أخرى! حين لا يكون لدي شيء أفعله.. أتلهى بأي شيء، مرة أقف على شباكي المفتوح، لا أعرف لماذا ما زال مفتوحاً ولم يعد خلف هذه الحياة ما يغريني! ومرة أفتح صنبور الذكريات والأحلام الصغيرة الدافئة، أحاول غسل روحي من كل هذا الجفاف الذي يعتريها، وحين يتسرب الملل مجدداً، وأرفع الغطاء عن جسدي وأقفز من هذا السرير علني أجد أغنية تسحبني لفضاء الرقص من جديد! ما الذي يمنعني أن أرقص الآن، حباً، وجعاً، حزناً، اشتهاء. أشد اللحاف وأختبئ تحته، لم أكن أشعر بالبرد، فقط أردت أن يحتويني. أنام، لا لأني أشعر بالنعاس، بل أحاول أن أوقف بعض الأفكار برأسي. أصحو، لست مرتبكة، ولكن ينقصني رؤيتك.. أكتب لك، لا أريد علاقة غرامية، ولكني أفتقد الونس.. أحب كل ما فيك، ليس تعلقاً، ولكني أشجع نفسي على الحياة! دونك أيها الحب كيف سأعرف للرضا طريقي!

> ألتقط من بين السنين، بعض الذكريات، أكتفي بالقليل منها لأن كثيرها يذكرني بحجم ما خسرت

أريد أن أبكي فقط لكني لا أسمح لنفسي بذلك، فالأطفال حولي أغلب الأوقات. كيف أهرب منهم ومن نظرات الجيران وأصدقاء العمل والمارة في الطرقات، أريد أن أبكي، يصرخ داخلي بقوة، بينما أحاول أن أغير هيأتي كلما، خرجت كيلا يلحظ رغبتي في البكاء أحد، ولا حتى سائق الشاحنة التي نجلس في مقعدها الأمامي مرغمين من قلة البدائل، ذات مرة جلست إلى جواري امرأة فعلت ذلك بكل ما فيها من سخط وحزن، ظلت تبكي حتى علا صوت نشيجها، فبكيت معها كل البكاء الذي خبأته وتراكم، تركته يهطل كمطر يعبر صحراء روحي من جديد!

* * *

الرجل الذي أحببت كان يكتنز الحب والمعنى طوال الوقت حتى بات غنياً بي، زاخراً قلبه بلذة الوصول، أما أنا يا رب ما زلت هنا أتسول منك بعض الطمأنينة!

كنت أود لو أنك بقيت، لو أن رأسي ظلت مسنودة إلى كتفك أكثر، كنت أحتاج أن أتنفس قربك واشتم رائحتك أكثر، أن أنظر إلى ذلك المعنى الذي وجدته في حزني، وأن تنظر إلى روحي ترفرف في سمائك، ماذا تفيد «لو»، وأنت الآن بعيداً كمنفى، وأنا كطفلة فقدت اليد التي تمسك بها كي لا تضيع في أروقة اليأس من جديد!

بين أربعة جدران وذراعين تتوسد أحلامي، انتظرتك، لا أريد أن أعيش موتك الآن، فقد سبق وقد دفنتك، أقمت عليك الصلاة ودموعاً كثيرة مالحة، لا تمت مرتين فليس لي من قلب يكفي لكل هذا الحزن، لا أريد أن أرى مرة أخرى هذه الطريق تتسع بيننا من جديد، حتى لا تعود توصل إليك البتة..

لا أعرف إن كان ما يحصل معي صدفة أم أنه قدر رتب بعناية فائقة، أن ألتقيك مؤخراً وأن يحلق طيف روحك الباحثة عن الحقيقة والحياة في سماء وقتي ولحظاتي، اجتماع كل تلك الخصائص فيك لم يدع مجالات لتصديق أنها صدفة، كنت أنت البهي الحضور، مرهف الحس، صاحب الحدس الذي لا يخطئ، ذو بصيرة نافذة ولماحة، عقل المهندس الذي يجيد ترتيب كل شيء، وروح الطبيب الذي لا يمل من تقديم لو بعض المواساة أو الدواء لكل المجروحين من قسوة هذا العالم وظلمه، كلماتك، نظراتك، حتى حيرتك كانت هادفة وسامية، كلها كانت تميز هذه الروح وتدفع بها نحو صورة أكثر عمقاً واتزاناً، في عالم مليء بالسطحية والفراغ، ما أجمل أن ألتقيك الآن، ما أجمل انتباهك لوجودي بهذا العالم وأنت تراعي أن يكبر هذا الأمل داخلي بالحياة. ولأكون عادلة هنا أنا ممتنة لوجودك وأثره في كل ذلك، ممتنة لاستطاعتك كسر وحدتي ولو بسؤال صغير يطل صباحاً أو مساء.

لي ما أريد، ولن يمنعني من ذلك أحد، أن أنظر إلى صورتك طويلاً إلى أن تشبع روحي من هذا الحب الذي يسكن نظرتك، أن أغفو وأنا أتخيل ذراعيك تحوطني بكل الدفء الذي في الأرض، تشدني نحو صدرك بقوة، ثم تترك هذه القوة تنهار بيننا من جديد حتى تعود طفلاً، تختبئ بي واختبئ بك، محاولين محو ما علق في أرواحنا من تعب عبر سنوات أعمارنا الماضية، تعال إليّ طوقني بكل ما فيك من لهفة وجنون، تعال إليّ، سيسحبنا هذا السحر الذي لا نفهمه نحو حياة لا نجدها إلا حين نكون معاً، لي ما أريد، وكل الذي أريد أن تعيش كما تحب، وأن تذهب إلى حيث شئت، فأنت في كل حال معي مهما ابتعدت..

ناهض زقوت كاتب

ما أجمل العودة إلى البيت

عندما يخرج الجنين من بطن أمه يصرخ معلناً حضوره، من دون أن يعلم أهله أن صراخه هو الفرح بخروجه من الظلمة إلى النور. هذا تماماً ما حدث معي، أو معنا، بعد شهر كامل من المعاناة في ظلام خيمة النزوح، بكل ما يعنيه الظلام من ذل وانكسار، وعتمة تفقد فيها صواب الطريق، وتفقد بوصلة تحديد الاتجاهات والرؤى والأفكار، تصبح كالغريق في أعماق المحيط تجاهد من أجل النجاة والحفاظ على الروح أمام شح الموارد والغذاء، وأمام غول الآلة العسكرية الإسرائيلية.

لم تعد لدينا القدرة على احتمال العيش في خيمة لا تحمي برداً، ولا تستر عورة، ولا تمتلك فيها خصوصية، زوجتك تنظّف الأطباق، وتغسل الملابس، وتطهو الطعام على النار أمام الخيمة، وتدخل الحمام أمام الناس، فأنت تعيش في الشارع، أنت في خيمة. عندها يدرك المرء قيمة الوطن/ البيت الذي يحتضنك، ويمنحك الأمن والأمان، وتنام فيه من دون خوف، وتشرب ماء نظيفاً غير ملوث، وتأكل طعاماً غير معلب، وتشعر بالاستقلال الذاتي بعيداً عن مشاركة الآخرين في حياتك.

كل الأحلام حلمناها، ولكن حلم النزوح في خيمة لم نره في أحلامنا، بل عشناه واقعاً قاسياً. لقد كُتب علينا أن نخطو خطوات أجدادنا وآبائنا على رمال النزوح في خيمة. كانت خيمتهم على رمال غزة، وخيمتنا على رمال رفح في أقصى جنوب غزة، فلم يعد ثمة مجال لنقول مع غسان كنفاني خيمة عن خيمة تفرق، فليس ثمة فرق بين خيمة وأخرى، تشابهت الخيام، وتشابه النازحون، فهم من أصلاب اللاجئين، وعدوهم واحد منذ ست وسبعين سنة، شرد أجدادهم وآباؤهم، والآن يُشرَّد أبناؤهم وأحفادهم.

* * *

عند دخول ساعات الليل ويحل الظلام، تبدأ سمفونية قذائف الدبابات المتمركزة على الحدود الشرقية في إطلاق قذائفها نحو منازل المواطنين في المناطق الغربية بكل عنف وكثافة. فتزرع الخوف والرعب في القلوب، ويأخذ القاطنون في بيوتهم تحت نار القذائف في ترديد الشهادتين، فالموت يصبح قاب قوسين أو أدنى، خاصة مع اقتراب الدبابات الإسرائيلية من شارع صلاح الدين الذي يبعد عن بيتي أقل من نصف كيلومتر.

عندما تغيّرت أحوالنا وفقدنا الأمان، ولم يعد لدينا خيار البقاء في البيت بعد أن قرر جيش الاحتلال الإسرائيلي اجتياح المنطقة الوسطى من قطاع غزة، وحدد أماكن يجب النزوح منها، وكانت منطقة سكناي من ضمنها.

بعد مشاورات جدلية بين أفراد أسرتي حول مسألة الخروج من البيت، ثمة من يوافق على الخروج، وثمة من لا يوافق على الخروج، تلك المسألة أخذت أياماً ونحن في جدل حول الموضوع، ومراجعة خريطة الأماكن التي يجب النزوح منها والتي وزعها جيش الاحتلال في النصيرات، هل تنطبق على مكان سكننا أم بعيدة؟ نحاول أن نبحث عن شيء يشعرنا بالأمان لكي نبقى، ولكن هيهات.

لم تكن لدينا النية في الخروج من البيت، بل الإصرار على البقاء رغم القصف المدفعي العنيف، كيف سنترك بيتنا الذي زرعنا في جنباته أحلامنا المستقبلية، وتعشش في خلايا جدرانه ذكرياتنا بحلوها ومرها، كيف أترك مكتبي ومكتبتي اللذين يمثلان أكسجين الحياة لي، ليس من السهولة ترك البيت، لحظات قاسية وصعبة على النفس حينما قررنا الرحيل، نجاة الروح أقوى من كل الذكريات والأحلام، استودعنا البيت والعيون غارقة بالدموع.

وكان أصعب قرار اتخذته في حياتي، أن أخرج مع أسرتي نازحاً من بيتي، من وطني. وما أدراك ما النزوح؟ هو انتزاعك من بيتك.. من حياتك الى غياهب المجهول الذي ينتظرك في خيمة إيواء تحتضنك مع أطفالك وزوجتك، خيمة من النايلون والخشب على الرمال الصفراء، في زاوية من زوايا حي تل السلطان غربي رفح، منطقة عشنا فيها ولم أعرف اسمها غير أنها قطعة من الأرض تتناثر فيها البيوت، وعلى امتداد البصر رمال صفراء، ولكنها لم تعد صفراء، إذ لونتها خيام النازحين بألوان الطيف بحسب لون النايلون الذي استخدمه النازح في تغطية خيمته التي أرسى مداميكها من الخشب والمسامير، وجللها بالنايلون، الذي انكشفت عورته عند أول هبة ريح عاصفة، وأمطار غزيرة أغرقتنا وأغرقت خيام النازحين.

البرد قارس يجمد الأطراف ليلاً، وقد حاولت زوجتي أن تجمل المكان بهدف الدفء من خلال وضع سجادة على الرمال وعليها فرشات النوم، ورغم ذلك لا تشعر بالدفء، فالخيمة ليست وطناً كالبيت، هناك تشعر بالدفء على بلاط الأرضية.

* * *

ليل النزوح يختلف كلياً عن الليل العادي الذي تقضيه في بيتك. في البيت تسهر كما تشاء مع وسائل التسلية أو القراءة والكتابة أمام جهاز الكمبيوتر، ولكن في خيام النزوح ليس ثمة ما يسليك غير الجوال إذا كان ثمة إنترنت، في خيمتنا ليس ثمة إنترنت يصل إلينا، حيث أقرب نقطة للإنترنت تبعد عنا مائة متر. في التاسعة صباحاً تشتغل النقطة فأذهب إليها لتنزيل الأخبار وقراءتها، بعد شراء بطاقة، وفي ساعات الظهر أعود إلى النقطة نفسها لكي أنزل ما استجد من الأخبار، وهكذا حتى الساعة التاسعة مساء حيث لا يتبقى لك ما تفعله مع اشتداد البرودة، فتبحث عن مكان للدفء داخل الخيمة، أحياناً تضع سماعات الأذن في أذنيك موصولاً بالجوال لكي تستمع إلى نشرات الأخبار.

> كل الأحلام حلمناها، ولكن حلم النزوح في خيمة لم نره في أحلامنا، بل عشناه واقعاً قاسياً

في أيام النزوح لم يعد للزمن قيمة أو للوقت أهمية، تتوالى الأيام من دون هدف، وتتكرر بالوتيرة الرتيبة نفسها، فأنت محصور في إطار غير مألوف لديك، تحاول أن تصنع علاقات مع جيرانك في الخيام لكي تمضي الوقت، أو تذهب إلى السوق لكي تشترى أي شيء موجود بهدف أن تطعم عائلتك، فليس أمامك خيارات، بل أنت محكوم بما أمامك. في خيام الإيواء ذابت الفوارق الطبقية، وفيها تجد حملة الشهادات العليا، والأطباء، والمهندسين، ورجال الأعمال، والكتّاب والباحثين والأدباء والشعراء والأكاديميين، والطلاب، وعمداء الأمن، والتجار، والمرأة والطفل، والرضيع، والكبير في السن، جميعهم تحت الخيام في بقعة صغيرة بحثاً عن الأمان، ولا أمان موجوداً في قطاع غزة. هنا يعيش الإنسان مهدور الكرامة.

* * *

أستيقظ باكراً جداً كالعادة منذ نزوحنا في خيمة اللجوء، أستمتع بصباح البرودة المشبعة بقطرات الندى، برودة اليوم مغايرة لكل برودة، فاليوم كان قرارنا بالعودة إلى البيت في النصيرات، شعور مختلف ممزوج بالانبساط والخوف معاً. فالقصف ما زال مستمراً، ولكن لم تعد لدينا طاقة على الاحتمال، ولا بيت يؤوينا. اليوم الثلاثون من أيام النزوح، يوم غير عادي لي ولأفراد عائلتي.

في ساعات المساء اتفقت مع سائق شاحنة كان يقيم في خيمة بالقرب منا أن ينقلنا إلى النصيرات، وعند ساعات الظهر في اليوم التالي انطلقت بنا سيارة الشحن التي حملت عفشنا من منطقة النزوح في حي تل السلطان مخترقة شوارع الحي، ثم الحي السعودي إلى ميدان الطيارة، وصولاً إلى مستودعات أو بركسات الوكالة وهي مخازن وكالة الغوث، واجتزناها إلى منطقة الشاكوش، ثم المتنزه الإقليمي، ومحطة العطار، وجامعة الأقصى مروراً بشارع النص حتى وصلنا إلى ما قبل شارع خمسة غرب خانيونس القريب من ناحية البحر.

في الطريق تتجلى المأساة أمام ناظريك، حيث تنتشر خيام النازحين في كل مكان من رفح وإلى الطريق المؤدية إلى خانيونس وصولاً إلى دير البلح، هؤلاء جميعهم فقدوا بيوتهم، فقدوا حياتهم، فقدوا مستقبلهم، جراء الحرب المجنونة التي تدار على رؤوسهم. يستمر مشهد الخيام، خيام متراصة على جانبي الطريق بعضها بجوار بعض على امتداد البصر، وضعت عشوائياً لا يفصل بين الخيمة والأخرى سوى سنتيمترات معدودة، خيام مختلفة الأشكال والأحجام بعضها يغطيها النايلون، والبعض الآخر شوارد أو قماش، وفي أحيان أخرى أغطية من الحرامات والبطانيات البالية والممزقة.

وقبل الوصول إلى مفترق جامعة الأقصى انحرفت الشاحنة بنا في طريق ترابي يصل إلى البحر، خوفاً من قوات الاحتلال التي تطلق نيرانها صوب كل من يتحرك على الطريق غرب خانيونس، وكانت الطريق على الساحل ميسرة وهادئة، ولكن يستمر مشهد انتشار الخيام على سوافي الرمال المنتشرة شرق الطريق الساحلي، والباعة منتشرون على جانبي الطريق يبيعون مواد غذائية ومعلبات، وسولاراً للسيارات، وأشياء أخرى مثل طاولات وكراسي وبطاريات وألواح طاقة.

واصلت سيارة الشحن طريقها وصولاً إلى دير البلح، ثم الزوايدة، ثم انحرفت دخولاً من الطريق الساحلي إلى مخيم النصيرات حتى الوصول إلى البيت. طوال الطريق داخل المخيم كنا نشاهد الدمار الكبير الذي طاول منازل المخيم من تدمير وقصف، حيث لم تكن العديد من هذه المنازل مدمرة قبل نزوحنا من المخيم، عشرات المنازل طاولتها صواريخ الطائرات وقذائف الدبابات خلال استهداف المخيم، وثمة دمار كبير طاول البنية التحتية وشوارع عديدة.

وصلنا إلى البيت، وأنزلنا عفشنا، ومشاهد الخراب الذي أحدثه القصف المجاور لبعض المنازل، واضحة في الشقة، غبار كثيف يجلل الشقة، وزجاج الشبابيك مكسر وملقى على الأرض، نظّفنا البيت من سواد غبار القذائف، والحريق الذي طاول العمارة المجاورة لنا، جراء صاروخ اخترق أسقفها الأربعة وانفجر في الطابق الأرضي، ما أدى إلى اشتعال النيران، من دون أن تجد من يطفئها، فبقيت مشتعلة ساعات طويلة حتى غطى دخانها أجواء المنطقة. وطاول القصف زجاج الشبابيك، فأصلحنا الشبابيك وتغطيتها بالنايلون والكرتون لعدم توفر الزجاج.

بدت الأوضاع في المخيم هادئة بصورة حذرة، فالقصف نسمعه بعيداً، ولكنه لم يدم بعيداً، إذ بعد أيام من عودتنا اقترب كثيراً من أجواء المخيم، وطائرة الاستطلاع تواصل تحركها بكثافة في أجواء المخيم.

بدأنا نحاول العودة إلى الوضع الطبيعي، إلا أنه في ظل الحرب لا يوجد شيء طبيعي، ورغم ذلك لسان حالنا يردد ما أحلى العودة إلى البيت، ثمة شعور لا يوصف.

ومهما كانت الظروف صعبة من حيث عدم توفر مقومات الحياة، كالغاز والكهرباء والمياه والإنترنت، بعد أن دمرت قوات الاحتلال الكثير من المحال التجارية ومحطات توزيع الغاز، وآبار المياه، ورغم ذلك يبقى العيش في البيت أفضل بكثير من العيش في خيام النزوح. لهذا تجد كل النازحين في الخيام يرددون بكل ثقة وإيمان أنهم يريدون العودة إلى بيوتهم حتى وإن كانت مدمرة، وأنهم سوف يبنون الخيمة على الأنقاض والركام.